المدخل

1- الأنا الشخصية- الأنا الشعرية : سيرة مأساة

2- الأنا الشعرية- المنجز الشعري: الديوان

1- الأنا الشخصية – الأنا الشعرية: سيرة مأساة

دعت بعض الأصوات النقدية[1] إلى ضرورة الاكتفاء بتحليل النصوص الأدبية، دون الإشارة إلى مبدعيها وسيرهم، وارتكز أصحاب هذه الأصوات على سلطة النص، ليحققوا مسألة موت المؤلف التي دعا إليها **رولان بارث** (**R. Barth**) ونقاد ما بعد البنيوية؛ فسيادة المؤلف تنتهي بمجرد الانتهاء من الكتابة، ليبدأ يتم النص، ويستقل عن صاحبه، وتزول النسبة بينهما الدالة على" إيقاف النص وحصره، وإعطائه مدلولاً نهائيا، إنها إغلاق الكتابة"[2]، ولكي يتم انفتاح النص فلا غنى عن التضحية بصاحبه،"فموت الكاتب هو الثمن الذي تتطلبه ولادة النص"[3].

وأضافوا إلى ذلك ضرورة إزالة العلامات الخارجية وما ارتبط بها من واقع وبيئة، والاكتفاء بذات النص، وبالمتلقي بدلا من الأديب، ليتحقق خلود النص، فإن "النص الخالد، والحداثي خاصة ليس في حاجة إلى أب يمنحه شهادة الميلاد، ويعلن انتسابه إليه، وينفي عنه أن يكون لقيطاً، ويدفع عنه تهمة التهجين"[4] .

وحاولت قصيدة الحداثة من خلال روادها على اختلاف أجيالهم الابتعاد عن الذاتية، ومقاربة الواقع خوفا من العودة إلى الوراء، فباينت بذلك القصيدة الغنائية التي عبرت"أساسا عن تجربة فردية تتعلق بالشاعر المفرد"[5]، الذي ألفها، وتكلم فيها، وعرض نفسه من خلالها بكل أبعادها وخصوصيتها، مظهرا تأثره بالمؤثرات الخارجية (اجتماعية وسياسية)، لتترسم ملامح شخصيته في شعره، ويعلو صوت **(الأنا)** ليعلن:

---

[1] – رولان بارث: درس السيميولوجيا ، تر عبد السلام بن عبد العلي ، دار توبقال، الدار البيضاء، ط2 ، 1986، ص 86 – وللتعمق في أبعاد هذه النظرية والآراء التي أثيرت حولها ينظر– فاضل ثامر : اللغة الثانية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994، ص 129. وعبد الله الغذامي: ثقافة الأسئلة، دار سعاد الصباح، الكويت، ط2، 1993، ص184- 191- 199.

[2] – رولان بارث: درس السيميولوجيا، ص86 .

[3] – رولان بارث: نقد وحقيقة، تر منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 1994، ص25.

[4] – أحمد سويف: القراءة النسقية ومقولاتها النقدية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003، ص147.

[5] – عز الدين إسماعيل: كل الطرق تؤدي إلى الشعر، الدار العربية للموسوعات، لبنان، ط1، 2006، ص67.

"إن القصيدة هي **أنا** الشاعر، وقد جعلت من ذاتها موضوعا لذاتها"[1] ، يقر انتماء النص الأدبي إلى صاحبه نافيا مسألة موت المؤلف، مثبتا أن العملية النقدية "يجب أن تتحرك بيقظة ومرونة بين مختلف مقومات الظاهرة الأدبية وعناصرها، وبشكل خاص بين المؤلف والنص والقارئ"[2].

ومن الشعراء من جعل قصائده أشبه بالاعترافات الشخصية العاكسة لحياته المريرة التي اكتوى بنارها، فعبرت عن معاناته وآلامه وأحزانه؛ وكانت"بمثابة فضاء شعري يعاد فيه إنتاج **أنا الشاعر** أي سيرته الذاتية، من خلال **أنا المتكلم**"[3]، وسلموا مفاتيح قصائدهم، لتكون مرايا ترتسم على سطوحها ملامح شخصياتهم المتميزة، سواء برزت **أنا المتكلم** سافرة، أو استخفت في القصيدة الغنائية؛ فإن النص الشعري يظل وسيلة لإنتاج خطاب ذاتي أو ترجمة ذاتية للشاعر:أي سيرة شخصية[4] تتجلى من خلالها ذات الشاعر من حيث قصد، أو لم يقصد[5]، ولا يمكننا تعميم الحكم وإطلاقه، فالأدب وإن استطاع أن يصور شخصية صاحبه، ويرسم ملامح ذاته بكل أبعادها وخصائصه، فإن هذه الذات قد تتعالى عن الواقع، وربما تستعير لنفسها ملامح ليست لها، وتنشأ عن ذلك علاقة تناقض وتضاد، ويخالف الأدب صورة صاحبه، لتتوزع ذات المؤلف بين صورتها في الواقع، وصورتها المجسدة في العمل الأدبي.

ويتضح من خلال ما سبق ذكره أن قضية الربط بين المؤلف وعمله، أو الفصل بينهما في الدراسات النقدية تبقى معقدة؛ فقد لا يعبر العمل المتسم بالفرح إلا عن حزن صاحبه،

---

[1] – عز الدين إسماعيل: كل الطرق تؤدي إلى الشعر، ص69.

[2] – فاضل ثامر: اللغة الثانية، ص133.

[3] – عز الدين إسماعيل: كل الطرق تؤدي إلى الشعر، ص 69 .

[4] – المرجع نفسه، ن ص

[5] –التحليل الألسني للشعر يتضمن دراسة الوظيفة الشعرية ويربطها بالوظائف اللفظية ويرى"أن الشعر الغنائي المركز على ضمير المتكلم يرتبط أشد الارتباط بالوظيفة التعبيرية" ينظر أحمد منور : مفهوم الخطاب الشعري عند رومان ياكبسون من خلال كتابه مقالات في الألسنية العامة، مجلة اللغة والأدب، ع2، معهد اللغة وآدابها، جامعة الجزائر، ص88.

وقد يحيا صاحب الأعمال الأدبية الحاملة لبذور الحس المأساوي حياة هادئة، إلا أن هذا التعقيد قد تزيله الشواهد المستقلة عن العمل الأدبي.

ومن هنا ارتأى البحث المزج بين **الأنا** الشخصية المجسدة في **الأنا** الشعرية، و**الأنا** الشخصية كما صورها أصحاب التراجم والدارسون لأدب الشاعر وسيرته.

إن المتأمل **ديوان أبي الحسن علي الحصري القيرواني** ليجد حضور **أنا** المتكلم بشكل كثيف يوضح "لنا كيف كان وعي المتكلم بنفسه متعاظما، وكيف كان حضوره طاغيا، وكيف شكلت مفردات هذا الحضور عناصر سيرة ذاتية للشاعر"[1]، فهو يعرفنا بأدق تفاصيل حياته التي أهمل أصحاب التراجم الحديث عنها، فيمكن أن نعد بعض قصائده من أدب الاعترافات، فهو يذكر اسمه توقيعا في نهاية ديوان " اقتراح القريح واجتراح الجريح"[2]:

قَدْ ثَوَى عَبْدُ الغَنِيِّ بِطُوبَى فَهَلِ الْعُقْبَى غَدًا لِعلِيِّ

ويكرر العمل في نهاية ذيل هذا الديوان: (مخلع البسيط)/(د:ص490)

يَشْفَعُ عَبْدُ الْغَنِيِّ حَتَّى يَأْمَنَ مِنْ خَوْفِهِ عَلِيٌّ

ويصرح باسم والده الذي سم به ولده: (البسيط)/(د:ص367)

عَبْدُ الغَنِيِّ أَبِي وَابْنِي فَقَدْتُهُمَا فَضَامَنِي الدَّهْرُ حَتَّى ارْتَعْتُ بالظَّامِ

كَانَا حَرَمَايَ الآمِنَانِ فَيَا وَيْلاهُ أُبْدِلْتُ إِحْلاَلِي بِإِحْرَامِي

ويرتبط هذا الوالد الفقيد بآهات الحزن وأنين الحرقة لتبدأ أولى صفحات المأساة تكتب، ويبكي قبره، ويتزود بقبضة من تراب تغنيه عن التطيب في رحلته الطويلة: (الوافر)/(د:ص23)

رَحَلْتُ وَهَاهُنَا مَثْوَى الْحَبِيبِ فَمَنْ يَبْكِيكَ يَا قَبْرَ الْغَرِيبِ

سَأَحْمَلُ مِنْ تُرَابِكَ فِي رِحَالِي لِكَيْ أَغْنَى بِهِ عَنْ كُلِّ طِيبِ

---

[1] – عز الدين إسماعيل: كل الطرق تؤدي إلى الشعر، ص73.

[2] – أبو الحسن الحصري: الديوان، تحقيق محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحي، مكتبة المنار، تونس، ط1، 1963، ص454.

وسيعتمد البحث الرمز **د:** للديوان متبوعا بالرمز **ص:** للصفحة، ثم رقمها في الإحالة على أشعار الشاعر.

ويردد قلبه المكلوم أغاني الوفاء مستعطفا الواقفين بهذا القبر الذي انقطع صاحبه عن الدنيا وزخرفها فاستغنى عنها، وقطعت حباله عن حبال أهلها عدا حبل الدعاء والترحم، ويغادر القبر وساكنه قاطعا رحلة العذاب بليلها الأبدي، متزودا بجروحه وقلبه العامر بذكريات الحب والشقاء:

(الطويل)//(د:ص23)

أَبِي نَيِّرُ الأَيَّامِ بَعْدَكَ أَظْلَمَا وَبُنْيَانُ مَجْدِي يَوْمَ مُتَّ تَهَدَّمَا

وَجِسْمِي الذِي أَبْلاَهُ فَقْدُكَ إِنْ أَكُنْ رَحْلَتُ بِهِ فالقَلْبُ عِنْدَكَ خَيَّمَا

سَقَى اللهُ عَيْنَيْ مَنْ تَعَمَّدَ وَقْفَةً بِقَبْرِكَ فاسْتَسْقَى لَهُ وَتَرَحَّمَا

وعلى ذكر الأب فإن الشاعر لا يورد ما يتعلق بأمه، مما يجعل الظن يحوم على أنها توفيت **وولدها أبو الحسن** لا يزال صغيرا لا يعرف عنها شيئا، ويختلف المترجمون حولها في إشارة إلى علاقة الشاعر بعلم من أعلام المغرب العربي القديم أبي إسحاق إبراهيم الحصري القيرواني، الذي يراه صاحب الوفيات ابن خالته، فتكون الأم مجهولة الأصل[1]، ويعده صاحب(الغيث المسجم) خلا لأبي الحسن[2]؛ ومنه فالأم قيروانية قريبة والده، وما يهم من أمرهذه الأم أن فقد الابن لها قد قوى العلاقة بينه وبين والده الذي بالغ في تقريبه إلى قلبه والحنو والإشفاق عليه، فصرح بأنه حرمه وحماه، وأنه استمد منه العز والمجد الذي ورثه عن آبائه الفهريين، ويكثر من الاعتزاز بعراقتهم؛ فيكفي أنهم شهدوا الغزوات:(الوافر)//(د:277).

أَثَارَ النَّقَعَ جَدُّكَ فِي حُنَيْنٍ وَفِي بَدْرٍ وَأَثَّرَ فِي كَدَاءِ

ويوطد صلته بوطنه القيروان مصورا حضارتها، وتفردها بالثروة والفضائل:(المقتضب)//(د:ص324)

قَيْرَوَانُ جَدِّكَ لاَ مِنْبَرٌ كَمِنْبَرِهَا

تَاجُ مِصْرَ مَعْقِدُهُ كَانَ تَحْتَ خِنْصَرِهَا

---

[1] – أبو إسحاق الحصري صاحب كتاب(زهر الآداب) ينظر ترجمته:ابن خلكان(شمس الدين أحمد): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت، 1977، ص1/54-55-394-395.

[2] – أبو الحسن الحصري: الديوان، ص22.

شَاعِرُ الْعِرَاقِ كَبَا عَنْ مَدَى شُوَيْعِرِهَا

وَابْنُ أَرْبَعِينَ عَمِى عَنْ مَدَى خَزَوَّرِهَا

والْمُلُوكُ عَاجِزَةٌ عَنْ نُضَارِ مُوسِرِهَا

ولكن الدهر يفجعه في بلده، ويشتت شمل أهله، فلا يشفع للفهريين تميزهم:

(مجزوء الرجز)//(ص331)

وَأَنْتَ يَا دَهْرُ لَقَدْ فَجَعْتَ فِهْرًا غُرَرَكْ

ويرتبط الشاعر بالموت، ويشتد الألم، وتكثر الشكوى، وتضطرم نيران القلب، وتضيف مأساة العمى إلى كتاب حياته صفحات الشقاء، وإن حاول أن يلملم شتاته، ويتظاهر بتجاهل الآفة، ويتماسك أمام زعزعة القدر له:(الوافر)//(د:135)

وَقَالُوا قَدْ عَمِيتَ فَقُلْتُ كَلاَّ فإِنِّي الْيَوْمَ أَبْصَرُ مِنْ بَصِيرِ

سَوَادُ الْعَيْنِ زَادَ سَوَادَ قَلْبِي لِيَجْتَمِعَا عَلَى فَهْمِ الْأُمُورِ

وستترك آفة العمى بالغ الأثر في حياة الشاعر، ويزداد حقده على المجتمع البشري، ويتحفز للسب والشتم والهجاء، فالزمان حقير، وأهله ديدنهم الغدر:(الكامل)//(د:ص421)

خَبُثَ الزَّمَانُ كَمَا تَرَيْنَ وَأَهْلَهُ كُلُّ امْرِئٍ فِي وِدِّهِ تَدْلِيسُ

ويقلب طرفه، لا يرى إلا وحوشا تنهش لحمه، وتشعره بالنفور منها، ويكثر الحديث عن الحاسدين والأعداء العائثين في أرضه فساداً والهادمين لمجده (مجزوء الخفيف)//(د:306)

أَنَا كَالزَّرْعِ و الْعِدَا كالْجَرَادِ الْمُصَوَّخِ

وترتبط صفة العمى بالشاعر، ويعرف بأبي الحسن علي الحصري القيرواني الضرير، لتكتب صفحات أخرى في كتاب مأساته، يستشعر من خلالها نقصه؛"فالإنسان بطبعه يهوى الكمال، لأنه يجسد له القوة، ويخجل من مظاهر النقص؛ لأنها تجسد له الضعف، والحيل التي يستعين بها على مواجهة إحساسه بالنقص، قد تأخذ شكل التقمص، أو الكبت أو التبرير أو التعويض وهو أهمها"[1]، ويلجأ صاحبها إلى الأدب لقيامه على الشعور والخيال

[1] – كارين صادر ونصير الجوهري: معجم الأدباء ذوي العاهات، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1996، ص10.

والتأمل الفكري، "وهو بطبيعة الحال سلاح ذي العاهة، ومتنفسه في أزماته، ولسان حاله في التعبير عن ذاته ومعاناته، وصوته الذي يلامس به أذن العالم"[1]،والحديث عن التعويض الذي أقره عالم النفس (أدلر) حين ذهب" إلى أن التعويض هو الدافع الذي يحث الضرير إلى النبوغ في الأدب"[2] لا يمكن تعميمه، ولا إطلاقه، فليس كل ضرير بالضرورة نابغة في الأدب.

وينكب الشاعر في بلده القيروان بعد أن خربتها رياح أعراب بني هلال وحلفائها، فتضاف إلى مأساة عماه، مأساة خراب بلده، لتبدأ رحلة غربته واغترابه ، فيستشعر عظم المصاب، ويصور كيف انطفأت بهجة ما بقي من أهله، وكيف عج الظلام، فتلبست الوحشة جنته، وعمها الخراب، فزال المسك والجوهر :(البسيط)//(د:126)

ألا سَقَى اللهُ أرْضَ الْقَيْرَوَانِ حَيَا كَأنَّهُ عَبَرَاتِي المُسْتَهِلاَّتُ

فإنَّهَا لِدَةُ الجَنَّاتِ تُرْبَتُـهَا مِسْكِيَّةٌ وحَصَاهَا جَوْهَرِيَاتُ

ويعبر عن قلقه وسخطه على حاضره في أرض الغربة؛ فتنكأ جراحه، ويزداد تفجعه، كلما ذكر تلك اللحظات السعيدة، فلا تبقى له إلا الذكرى عساها تخفف علته:(البسيط)//(د:ص 125)

إذا اعْتَلَلْنَا تَعَلَّلْنَا بِذِكْرِكُـمُ لَوْ أحْسَنَتْ بُرْءَ عِلاَّتٍ تَعِلاَّتُ

[...] كأنَّنِي لَمْ أذُقْ بِالْقَيْرَوَانِ جَنًى وَلَمْ أقُلْ:هَا لأحْبَابِي ولا هَاتُوا

ولَمْ تَشُقْنِي الْخُدُودُ الْحُمْرُ فِي يَقَقٍ ولا العُيُونُ الْمِرَاضُ الْبَابِلِيَاتُ

ويخلد ذكرى وطنه في قلبه، وتصبح حياته الماضية ذكريات اللوعة والحنين، ويمسي الحاضر انفرادا في الوجود؛ فيدعو السماء والأرض للمشاركة في البكاء والندب:(البسيط)//(د:ص 125)

أصْبَحْتُ فِي غُرْبَتِي لوْلاَ مُكَاتَمَتِي بَكَتْنِيَ الأَرْضُ فِيهَا وَالسَّمَوَاتُ

وتحمل الغربة معاني الموت، فالحياة في غير القيروان موت:

---

[1] – المرجع نفسه، ن ص.

[2] – كارين صادر ونصير الجوهري: معجم الأدباء ذوي العاهات، ص11.

(البسيط)/(د:ص 125)

مَوْتُ الْكِرَامِ حَيَاةٌ فِي مَوَاطِنِـهِمْ فَإِنْ هُمُ اغْتَرَبُوا مَاتُوا وَمَا مَاتُوا

ويتولد عن القلب المفجوع حكمة المعاناة المأساوية تشيع معاني الضياع والفقد، وتعرض الغربة نفسها فصلا في كتاب مأساة الشاعر، يتجدد بها الأسى العميق؛ وتنقله إلى (سبتة) يجر أذيال الفجيعة، ويرزق فيها بابن سمي جده (عبد الغني)، يقول: (الكامل) /(د:ص422)

أَبُنَيَّ مُذْ مَنَحَتْكَ سَبْتَةُ لِلْعُلاَ لَمْ يَرْضَهَا يَحْيَ وَلا إِدْرِيسُ

وَالْقَيْرَوَانُ حِمَى أَبِيكَ وَمَا نَأَى إِلاَّ وَرَبْعُ القَيْرَوَانِ دَرِيسُ

نَحْنُ الْبُدُورُ النَّيِّرَاتُ وَمِصْرُنَا فَلَكٌ بِشُهْبِ رِمَاحِنَا مَحْرُوسُ

نَخْتَالُ فَوْقَ الْخَيْلِ فِي ظُلَلِ القَنَا أُسْدًا و َقَدْ وَقَدَ الغَدَاةَ وَطِيسُ

لَكِنْ أَصَابَتْهَا مَصَائِبُ ذُلِّلَ َتْ مِنْهُنَّ أُمُّ اللَّيْثِ وَهْيَ شَمُوسُ

ثم يغادرها مستودعا بها فلذة من فلذات كبده الحرى: (المديد)/(د:ص77)

اَسْتَوْدِعُ اللهَ لِي بدَانِيَةَ وَسَبْتَةَ فَلْذَتَيْنِ مِنْ كَبِدِي

خَيْرُ ثَوَابٍ ذَخَرْتُهُ لهُمَا تَوَكُّلِي فِيهِمَا عَلَى الصَّمَدِ

وتسبقه شهرته إلى بلاد الأندلس المقسومة بين ملوك الطوائف؛ فيطرأ عليها "منتصف المائة الخامسة من الهجرة، والأدب يومئذ بأفقنا . الأندلس . نافق السوق، معمور الطريق، فتهادته ملوك طوائفها تهادي الرياض النسيم، وتنافسوا فيه تنافس الديار في الأنس المقيم"[1]؛ ويتصل بأشهر ملوكها مادحا مستجديا، فنجده في بلاط أقوى ملوكها **المعتمد بن عباد**[2] يخلع عليه صفات التفرد على عادة الشعراء القدامى:(الخبب)/(د:ص119)

أَ بَنِي عَبَادَ مَا حَسُنَتْ إِلاَّ بِكُمُ الدُّنْيَا فَقَدِ

[1] – ابن بسام (علي أبو الحسن): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تح سالم مصطفى البدوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ج4، ص 149/148.

[2] – المعتمد بالله بن عباد (أبو القاسم) ينظر ترجمته: ابن خلكان: وفيات الأعيان، المصدر السابق، ج5، ص 21– و المراكشي(عبد الواحد بن علي أبو محمد): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2006، ص76.

نَقَدَ الكُرَمَاءُ الدَّهْرَ مَعِي فَتَخَيَّرَكُمْ فِي المُنْتَقَدِ

وَقضَى لَكُمُ بالفَضْلِ عَلَى مَنْ فِي الأدْنَى أوْ فِي الْبُعَدِ

سَمِعُوا برَشَادِ فتَى لَخْمٍ فَنَفُوا هَارُونَ عَنِ الرَّشَدِ

وتنقله الرحلة إلى بلاد **علي بن مجاهد العامري**[1] يشكوه ظلم الدهر له، ويراه المنقذ: (طويل)//(د:ص77)

وَإنْ يَكُ دَهْرِي ضَمَّنِي ثُمَّ ضَامَنِي فَإنَّ عَلِيًّا خَيْرُ مَوْلَى وَمَوْئِلِ

هُمَامٌ إذا هَمَّ بالأمْرِ فامْتَطَى عَزيمَتَهُ نَادَتْ برَضْوَى وَيَذْبُلِ

ولا يجد حرجا في مدح ملك دانية الجديد الفاتك بممدوحه السابق؛ فيتحول الحبيب إلى عدو يطرب الشاعر لانكساره، ويهلل للملك الجديد على عادة الشعراء منتجعي الصلات: (الوافر)//(د:ص116-117)

كَذا تُفْتَضُّ أبْكَارُ البِلادِ وَلا مَهْرَ سِوَى الْبِيضِ الْحِدَادِ

[...] هَدَيْتَ الْعَسْكَرَ الجَرَّارَ لَيْلاً فأهْدَيْتَ الظُّبَاةَ إلى الْهَوَادِي

مَلأْتَ بِهِ الفَضَاءَ فَضَاءَ لَيْلٍ مَحَتْ فيهِ الظُّبَى شَكْلَ السَّوَادِ

ومَا أقْبَلْتَ إلاّ بَعْدَ مَا قَدْ سَقيْتَ الثَّغْرَ مِنْ ثُغرِ الأعَادِي

وَكَانَ مَرَامُ دَانِيَةَ عَزيزًا فهَانَ عَلى المُسَوّمَةِ الجِيَادِ

ليرتبط ببلاط **أحمد بن سليمان بن هود**[2]، ويستطيب المقام عنده، وقد حظي بالمنزلة الرفيعة، ويخلص له إخلاصا لم يطمع به غيره من ملوك الطوائف حين يرفض تصديق نعيه، ويسخط على الدهر:(الطويل)//(د:ص132)

أصَمَّ وَأصْمَى ثُغْرَةَ الثَّغْرِ حَادِثٌ تُحَدِّثُنَا عَنْهُ الثِّقَاتُ فَنَمْتَرِي

هُوَ البَحْرُ فِي ذَا الخَطْبِ أعْطَاكَ دُرَّهُ فقُلْ لِلِّسَانِ انْظِمْ وللِدِّمْعِ فانْثُرِ

أَجَدَّكَ بَزَّ الدَّهْرَ شُهْبَ بُزَاتِهِ وَعَزَّ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ ابْنَ المُظَفَّرِ

[1] – علي بن مجاهد العامري (الموفق) ينظر ترجمته: المراكشي: المعجب، ص61.

[2] – أحمد بن سليمان بن هود(المقتدر) ينظر ترجمته: المراكشي: المعجب، ص60.

أَعَزُّ مَنْ اقْتَادَ الْخَمِيسَ إِلَى الْوَغَى وَأَكْرَمُ مَنْ يُدْعَى لَهُ فَوْقَ مِنْبَرِ

تَلَثَّمْ حَيَاءً يَا زَمَانُ مِنَ الْعُـلاَ مَضَيْتَ بِمَعْرُوفٍ وَجِئْتَ بِمُنْكَرِ

ويستودع بدانية فلذة أخرى من فلذات كبده، لترتبط المدن بالموت، ويضاف فصل الثكل والندب إلى كتاب مأساته: (المديد)//(د:ص77)

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ لِي بِدَانِيَةَ وَسَبْتَةَ فَلْذَتَيْنِ مِنْ كَبَدِي

ويخصص لهذا الجزء ديوانا بأكمله، ويصر على إملائه بعد أن امتنع عن جمع شعره، يقول: "لذلك لم أجمع أشعاري[...]حاشا ما في كتابي هذا، فغفر الله لي ولمن حسدني وآذى، وكنت نظمت هذه الأشعار إذ قلبي مشتعل"[1]، وتكون المراثي من أقوى أسباب شهرة الحصري، يسجل فيها مأساته؛ غربة الشاعر الحصري قاتلة، وحرقة خيانة الزوجة ستفتح بابا في هذا الفصل يولج إلى علاقة الشاعر بالمرأة عموما، والمحبوبة ثم الزوجة خصوصا، وينقل شدة الألم، وصورة الضعف، وأشواق المحب ولواعجه؛ ويستجدي طيف المحبوبة على عادة شعراء الغزل ليعوضه أحوال العشق، وتجني المعشوق؛"فصورة الطيف في الشعر العربي قديمه وحديثه، تفنن الشعراء في تصويرها، وإخراجها في قصائدهم الغزلية، وهي تعبير عن حالة نفسية خاصة يتوهم الشاعر من خلالها تحقيق مالا يمكن أن يتحقق له في الواقع إذ يفصح عن رغبات دفينة محبوسة في صدره" [2]، ويرتبط وجعه بصدود المحبوبة، ثم بغربته عنها، وبزمانه الجائر: (الطويل)//(د:ص215)

ثَنَتْنِي صُرُوفُ الدَّهْرِ عَنْكِ وَمَا انْثَنَى فُؤَادِي فَجِسْمِي رَاحِلٌ مِثْلَ لاَبِثِ

ثِمَارُ الْمُنَى مَنْ يَجْنِهَا دُونَ إِلْفِهِ يَجِدْ طَيِّبَاتِ الْعَيْشِ مِثْلَ الْخَبَائِثِ

ثَلِمْتُ صَفَا صَبْرِي فَأَوْرَثَنِي الضَّنَى فَوَيْحُ غَرِيبٍ لِلْضَّنَى مِنْكِ وَارِثِ

ثَوَايَ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا مِنْ فِرَاقِكُمْ فَهَلْ مِنْ خَيَالٍ عَنْ غَرَامِيَ بَاحِثِ

وتبرز ثنائية الشاعر وخيانة المحبوبة؛ ويدمى جرحه وتعظم مصيبته، وينقم على جميع النساء، ويحمل زوجته أسباب موت الابن: (الخفيف)//(د:ص353)

---

[1] – أبو الحسن الحصري: الديوان، ص 264.

[2] – محمد أحمد الحوفي: الغزل في العصر الجاهلي، دار القلم، بيروت، 1961، ص33.

أَتُرَى أَمْرَضَتْكَ فُرْقَةُ أُمٍ دَأْبُهَا فِي أَبِيكَ غَدْرٌ وَفَرْكُ

أَتُرَاهَا تَبْكِي إِذَا آبَ سَفْرٌ أَنْ تَسَلْهُمْ هَلْ عِشْتَ أَمْ مُتَّ يَحْكُوا

أَنَا أَبْكِي عَلَيْكَ مِلْءَ جُفُونِي وَالأَعَادِي مَتَى أَبْكِيكَ يَبْكُوا

وينعزل عن حياة اللهو والغزل، فالجرح دام، والمصائب ازداد أوراها، والقوافي تجدد الأسى، ولا تتوقف الخطوب، ويداوم الشاعر شكواه، وتبرمه من الدهر وأهله؛ فالوالد مات والوطن خرب، والزوجة خانته، والأعداء جراد، والأمل وراه التراب بيديه، ومدن العدوة المغربية والأندلس لا تحمل إلا الموت: (مجزوء الرجز)//(د:ص331)

وَأَنْتَ يَا دَهْرُ لَقَدْ فَجَعْتَ فِهْرًا غُرَرَكْ

سَلَبْتَنِي أَرْبَعَةً زَانُوا فَكَانُوا دُرَرَكْ

ويلجأ إلى الصبر، راضيا بقضاء الله وقدره: (الكامل)//(د:ص274)

وَالْخَيْرُ فِيمَا اخْتَارَ خَالِقُهُ لَقَدْ آلَتْ بِهِ الضَرَّاءُ لِلسَّرَاءِ

وَلَقَدْ يَسُرُّ اللَّهُ بِالْبَأسَاءِ فِي أَحْكَامِه وَيَضُرُّ بِالنَعْمَاءِ

ويتجلد أمام ضربات الموت، وربما ذلك راجع لكثرة ما قاله في رثاء ابنه، ولطول المدة التي عاشها بعد وفاة ابنه[1]، إلا أنه في حقيقة الأمر يقر عجزه عن الصبر: (البسيط)//(د:ص370)

صَبَرْتُ لِلدَّهْرِ إلاَّ عِنْدَ فَقْدِ أبٍ وَابْنٍ فِدَاؤُهُمَا نَفْسِي وَأقوَامِي

ولايتوقف عند العجز، ويتجاوزه إلى رفض الصبر، وعصيانه:(مجزوء الوافر)//(د:ص382)

أَطَعْتُ الصَّبْرَ فِي نُوَّبٍ عَلَيَّ الدَّهْرُ لَوَّنَهَا

وَفِي عَبْدِ الغَنِيِّ ابْنِي عَصَيْتُ الصَّبْرَ حِينَ نَهَى

فمصيبته تتجاوز أناه إلى المستوى العام والكوني فهي مأتم الحياة: (البسيط)//(د:ص290)

عَزِّ العَوَالِي بَلْ عَزِّ المَعَالِي فِي فَرْعٍ لَهَا أَثَّثَّهُ أَيَّ تَأْثِيثِ

فَجَثَّهُ القَدَرُ الجَارِي لِيَفْجَعَهَا بِطَيِّبٍ مِنْ فُوَيْقِ النَّجْمِ مَجْثُوثِ

[...] فَقَدْ أقامَتْ عَلَيْهِ اليَوْمَ مَأتَمَهَا بَيْنَ المَهَا العِينِ والأُسْدِ الدَلاَهِيثِ

[1]– مخيمر صالح: رثاء الأبناء في الشعر العربي، مطبعة المنار، الزرقاء، ط2، د ت، ص113.

ويحاول لملمة أشلائه، ليمكننا من الوقوف عند ثقافته، فهو الحافظ لكتاب الله العارف بالدين والشريعة،"و[أبو الحسن] الحصري القيرواني أحد أئمة القراءات، حفظ القراءات بالروايات على شيوخ ذلك العصر[...]، وفي تدريس فن القراءات أمضى الحصري عمره، وفيها ألف رائيته المشهورة التي جاوزت مائتي بيت، وظلت قصيدته تلك موضع عناية العلماء، فنشروها وعلقوا عليها"[1]، وشهرته في هذا العلم جعلته يتحسر لفقد ابنه عبد الغني الذي رآه شبيها له: (الطويل)//(د:ص398)

شَبِيهِي لَوْ أَرْبَى عَلَى العَشْرِ أَرْبَعًا رَوَى عَنِّيَ القُرْآنَ والشِّعْرَ والشَّرْعَا

وَفَنَّدَنِي فِي كُلِّ مَدْحٍ أَحُوكُهُ لِقَوْمٍ أُسَمِّيهِمْ وَهُمْ عَرَبٌ نَبْعَا

قَرَأْتُ أَقَارِيضَ الخَلِيلِ وَلَمْ أَكُنْ لأَقْرَأَهَا لَوْ كُنْتُ أُشْبِهُهُ طَبْعَا

ويعتز الشاعر بأناه ويشكو ما لاقاه في الأندلس من عداء ومكر؛ تلك ضريبة التفوق: (الطويل)//(د:ص253)

أُعَادَى عَلَى فَضْلِي واسْتَصْحِبُ الْعِدَى وَلِي حَسَنَاتٌ عِنْدَهُمْ هِيَ أَوْزَارُ

[...] وَلَمْ أَرَ مِثْلِي فاضِلاً يُنْقِصُونَهُ بَلَى قَلَّمَا يَخْلُو مِنَ الْقَرْضِ دِينَارُ

ويباهي بنفسه:"**أنا** شاعر الزمان"[2]، ولا يقتصر على التصريح بتفوقه في الشعر؛ وإنما يصرح أيضا بأنه أديب ناقد ولغوي نحوي لا يشق له غبار: (الخبب)//(د:ص145)

غَيْلانُ الشِّعْرِ قُدَامَتُهُ جَرْمِيٌّ النَّحْوِ مُبَرِّدُهُ

وَخَلِيلُ لُغَاتِ العُرْبِ يَقْــفُ كِتَابَ الْعَيْنِ وَيَسْرُدُهُ

ويحمل كتاب مأساته عائداً إلى العدوة المغربية بعد أن ضاق به المقام ببلاد الأندلس، ولايجاوز مدينة **طنجة** التي ترتبط بمنيته سنة 488 هـ؛ ويتفق دارسوه[3] حول تاريخ وفاته بعد

---

[1]– منجد مصطفى بهجت: الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي(في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1986، ص102–103.

[2]– أبو الحسن الحصري: الديوان، ص96.

[3] – عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي(الأدب في المغرب والأندلس إلى آخر عصر ملوك الطوائف)، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984، ج4، ص707. – ويوسف فرحات ويوسف عيد: معجم الحضارة الأندلسية، دار الفكر العربي والنشر للطباعة، بيروت، ط1، 2000، ص94. – وأحمد الطويلي : أبو الحسن علي الحصري القيرواني، مطبعة الوفاء، تونس، 1999، ص15.

أن اختلفوا في تاريخ ميلاده بين 415 هـ، و420[1] هـ.؛ وتتوقف **الأنا الشخصية** فاسحة المجال **للأنا الشعرية** لتعرض شعر صاحبها، وتتبين مواقف بعض الدارسين منه .

2- الأنا الشعرية – المنجز الشعري:الديوان

حقق ديوان الشاعر أبي الحسن علي الحصري الضرير القيرواني التونسيان محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحي، ونشرته مكتبة المنار في طبعتها الأولى سنة 1963، وكان أملها لفت أنظار الدارسين والمؤرخين لهذا الشاعر الفحل الذي أهمل أمره، وصدرالمحققان الديوان بلمحة تاريخية تناولت العصر الصنهاجي، أتبعاها بدراسة مطولة لحياة الحصري العامة والخاصة، وقد أقرا أن الكثير من شعره قد ضاع –خاصة ما قاله في فترة شبابه قبل مغادرة القيروان إثر نكبتها–، وأضافا إليه ما نشره ابن بسام صاحب الذخيرة؛ وقسما تراثه إلى أقسام خمسة:

1/ **الرسائل**: جمعاها من كتاب الذخيرة عندما عرض صاحبه للتعريف بأبي الحسن الحصري، وقدم هذه الرسائل نماذج لنثره عائبا عليه فيها تكلف السجع، يقول: "وله سجع يمج أكثره السمع لم يسمح به نقدي أن أكتبه ولا راقني أن أرويه"[2]، ويتضح من خلال هذا الحكم أن ابن بسام قد ظلم الحصري؛ فما بقي من رسائله –وإن حمل تكلفا كان سمة العصر– يظهر طرافة تدل على قوة حساسية، ورقة عاطفة سواء في مدح الأصدقاء أو التعريض بالخصوم، ويكتفى بعرض رسالتين يخاطب في الأولى صديقا " السلام عليك أيها القلب الثاني، والبعيد الداني، الراقي في سماء المعالي، الواقي من داء الليالي، أول من عددت، وأفضل من أعددت، ومن لا يزال النسيم في البكر والعشيات يهدي إليه طيب التحيات، ومن جعلت وقاه، ولا عدمت لقاه، فإذا كان الكريم سالماً، كان الزمان مسالماً"[3]، وهي نتفة من رسالة إخوانية حملت سمات عصر الكاتب، وبعث بثانية إلى أبي الحسن بن

---

[1] – قيل ولد الحصري سنة 415**هـ**، وقيل سنة 420**هـ**. ينظر عمر كحالة: معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت، ج7، ص125.

[2] – ابن بسام: الذخيرة، ج4، ص149.

[3] – المصدر نفسه، ج4، ص93. و ينظر أيضا: أبو الحسن الحصري: الديوان، ص 93.

الطراوة العالم النحوي على إثر خصومة شبت بينهما جاء فيها:" ما حياتي بين الحيات، وثباتي في الجميع أو الثبات، وقد حانت وفاة الوفاء، وخانت صفات الصفاء، وأرداني الزمان بأردانه، وأعياني بتقلب أعيانه، الجاهل هو الحاظي، والعالم مبخوس الأحاظي"[1]، ويتكرر ذكر الزمان وتقلباته في نثر الحصري كما في شعره، لتبزر غربته، وتكشف عن نفسها موضوعا أثيرا عنده .

2/ ديوان المتفرقات: هو مجموع ما تفرق من شعر الحصري في كتب التراجم، وقد قسمه المحققان إلى أربعة أقسام، معتمدين على الأغراض الشعرية:

2-1: قسم النسيب: ويبدأ بمخمس[2] يشتمل تسعا وعشرين تخميسة، موزعة على حروف الهجاء- بحساب تخميسة لكل حرف-، ويقيده في بداية البيت ونهايته بحرف واحد، ولا يكتفي بذلك؛ بل يجعل الحرف لازما في بداية ونهاية الصدور والأعجاز، ولا يتخلى عن هذا القيد إلا في نهاية الشطر الخامس الذي يلتزم فيه قافية اللام المكسورة، يقول في أول مخمسه:(الطويل)/(د:ص107).

أَبُثُّكِ مَا فِي النَّفْسِ لَسْتُ أُرَائِـي أَنَا بَعْضُ قَتْلَى حُبِّكِ الشُّهَدَاءِ
أَلِفْتُ البُكَا إِذْ عَزَّ فِيكِ عَزَائِي إِلَى أَنْ بَكَتْ أَرْضِي مَعِي وَسَمَائِي
وَإِنِّيَّ رَاضٍ عَنْكِ فِي هَذِهِ الْحَالِ
بِفَيْضِ دُمُوعِي فِيكِ سَكْبًا عَلَى سَكْبِ بِعَطْفِكِ فِي ذَاكَ الرِضَى قَبْلَ ذَا العَتْبِ
بِمَا بَيْنَنَا مِنْ عِفَّةٍ زَمَنَ الْقُرْبِ بِمَا جَرَّدَتْ عَيْنَاكِ مِنْ صَارِمٍ عَضْبِ
أَجِرْنِي مِنْ الخَدِّ المُطَرَّزِ بِالخَالِ

هي مأساة الحب تروي عذاباته، يودعها صاحبه أعمق معاني الشوق وأحر لواعج الصب، هو القتيل الذي ألف البكاء، وهو الشهيد في ساحة الحب تبكيه الأرض والسماء، يتألم كلما

---

[1] – ابن بسام: الذخيرة ، ج4، ص.50 .و ينظر: أبو الحسن الحصري: الديوان، ص 93.

[2] – يقول ابن رشيق :" المخمس:هو أن يؤتى بخمسة أقسمة على قافية، ثم بخمسة أخرى في وزنها على قافية غيرها كذلك" ينظر ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تح عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية، بيروت 2004، ج1، ص162. و ينظر: نور الدين السد: الشعرية العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص44.

تذكر أمسه، ويحن إلى الوصال، ثم لا يفتأ يذكر الأعداء المتربصين به لتشتيت شمله، ويمزج ذلك بتأكيد الوفاء وعفة حبه على عادة شعراء الغزل القدامى؛

ويرث شعراء بني عذرة المعذبين، ويضيف مأساته إلى مآسيهم، و يتشاكل حال وجعه مع أوجاعهم، فيردد نسيبه معاني الغزل القديم.

2.2:<u>قسم المديح</u>: أشار البحث في سيرة الحصري إلا أنه اتصل ببعض ملوك الطوائف، ولا نجد في ما بقي من شعره مدحا **للأمير الصنهاجي المعز بن باديس**[1]، ولا لابنه تميم رغم أنه غادر القيروان وعمره يناهز الثلاثين، فهل اكتفى بالتلمذة وطلب العلم في هذه الفترة وتدريس علوم القرآن، ولم يشارك شعراء القيروان البارزين مجالسهم الأدبية، ألأنه لم يكن يحسن نظم الشعر وقتها ؟ أم إن ضياع أشعار فترة الشباب حجب تميزه في بلاط القيروان؟، والإشارات المبثوثة في كتب التراجم التي تناولت الشاعر تدل على تميزه قبل رحيله عن وطنه؛ فالتفات المعتمد بن عباد صاحب أشبيلية إليه، واستدعاؤه لبلاطه يدلان على أن شهرته قد سبقته إلى الأندلس قبل حلوله بها، مما يرجح أن المؤلفين والإخباريين الذين كانوا في بلاط المعز بن باديس أهملوه لصغر سنه، وللشخصيات العظيمة في الشعر والأدب التي كانت ترتاد ذلك البلاط، ولم يأت ذكر المعز الصنهاجي سوى مرة واحدة، (الخفيف)/(د: ص335).

أَيْنَ مُلْكُ الْعَزِيزِ قِدْمًا وَإِنْ تَذْ ... كُرْ قَرِيبًا فَأَيْنَ مُلْكُ <u>المُعِزِّ</u>

وَابْنُ هُودٍ وَلاَ تَرَى كَابْنِ هُودٍ ... كَانَ لَيْثَ الثُّغُورِ يَغْزُو ويُغْزِي

وقد ربط محققا الديوان ابتعاد الحصري عن مجالس الصنهاجيين الأدبية بعقدة العمى، وحساسية صاحبها وخوفه من الانتقاد، وهو أمر يتنافى مع اعتداد الشاعر بنفسه وشعره قال ابن بسام:" على أنه كان فيما بلغني ضيق العطن، مشهور اللسن، يتلفت إلى الهجاء تلفت الظمآن إلى الماء"[2] هذا في كهولته وشيخوخته؛ فما يقال عن أخلاقه في أول شبابه؟

---

[1] – الأمير المعز بن باديس بن المنصور الصنهاجي (–454) من ملوك الدولة الصنهاجية بإفريقية، ينظر ترجمته : خير الدين الزركلي: الأعلام، دار الملايين، بيروت، ط6 ، 1984، ج7، ص270.

[2] – ابن بسام : الذخيرة، ج4، ص149.

ممـا يجعل فرضية ضيـاع بعض شـعره أقوى أسباب جهل الدارسين لمكانتـه الأدبيـة فـي القيروان في العهد الصنهاجي، وحاله في ذلك شبيه بكثير من الأعلام المغيبين في التاريخ؛ انحصر مديحه على من اتصل بهم من ملوك الطوائف: المعتمد بن عباد، علي بن مجاهد العامري، ابن هود، وصاحب مرسية الأمير أبي عبد الرحمن محمد بن طاهر[1]، ويضاف إليهم بعض العلماء والفقهاء. من هذه الفئة: أبو العباس النحوي البلنسي[2] أديب بلنسية، وأنيس الشاعر في غربته:(الكامل)//(د:ص116)

قَامَتْ لأَسْقَامِي مَقَامَ طَبِيبِهَا ذِكْرَى بَلَنْسِيَةَ وَذِكْرَى أَدِيبِهَا

حَدَّثْتَنِي فَشَفَيْتَ مِنِّي لَوْعَةً أَمْسَيْتُ مُحْتَرِقَ الْحَشَا بِلَهِيبِهَا

مَا زِلْتُ أَذْكُرُهُ وَلَكِنْ زِدْتَنِي ذِكْرًا وَحَسْبُ النَّفْسِ ذِكْرُ حَبِيبِهَا

أَهْوَى بَلَنْسِيَةَ وَمَا سَبَبُ الهَوَى إِلاَّ أَبُو العَبَّاسِ أُنْسُ غَرِيبِهَا

ويستمر في مدحياته لأصدقائه يسير على خطى شعراء المدح القدامى، ولا يجانبهم إلا بما فرضه عصره من تأنق ومبالغة في التصوير؛ يقول مخاطبا الفقيه القاضي أبا المطرف الشعبي[3] بمالقة، وقد جعله منقذه في غربته، ومفرج كرباته، ليستشف أنه بقدر ما يظهر ضغينة لأعدائه، يتعمق في ود الأحباب والإخوان:(الطويل)//(د:ص120)

سَرَيْتُ وخَلَّيْتُ الْهَوَى لَكَ صَاحِبِي فَهَذَا الْهَوَى يُصْبِي وَهَذَا السُّرَى يُنْضَى

فَثَوْبُكِ مِنِّي سُلَّ يَا أَسَدَ الشَّرَى وَطَرْفُكِ عَنِّي يَا مَهَاةَ النَّقَى غُضِّي

تَفَكَّرْتُ فِي الدُّنْيَا وَفِي غُرْبَتِي بِهَا فَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ في الطُّولِ والعَرْضِ

لَقَدْ شَعَّبَ الشَّعْبِيُّ قَلْبًا صَدَعْتَهُ كَمَا تَصْدَعُ الْمَظْلُومَةَ الْخَيْلُ بِالرَّكْضِ 2-3

قسم الرثاء : يفتتح برثاء مدينة القيروان بعد نكبتها، ويضيف الشاعر اسمه إلى

---

[1] – هو الأمير الذي أهداه الشاعر الحصري قصيدته (يا ليل الصب)، ينظر ترجمته :ا- أبو الحصري: الديوان، ص50.

[2] الحميدي (أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح) : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر، قدمه وشرحه صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2004، ص308.

[3] – عبد الرحمان بن القاسم أبو المطرف الشعبي المالقي (405-497) فقيه وعالم مفتي، ترجمته- ابن بشكوال(أبو القاسم خلف بن عبد الملك) : كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، المكتبة العصريةللطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2003، م1، ص345-346 .

أسماء شعرائها الذين ندبوها[1]، وأكثر النوح على ماضيها المشرق، وحاضرها المظلم الكئيب؛ ولا يفوته أن يرثي ملك دانية المقتدر بن هود.

4.2 قسم المتفرقات : وتغلب عليه المقطعات، يصف ارتداء الأندلسيين البياض في حزنهم معترفا لهم بالفطنة: (الوافر)/(د:ص131)

أَلاَ يَا أَهْلَ أَنْدَلُسٍ فَطِنْتُمْ بِلُطْفِكُمُ إِلـَى شَيْءٍ عَجِيبِ

لَبِسْتُمْ فِي مَآتِمِكُمْ بَيَاضاً وَجِئْتُمْ مِنْهُ فِي زَيٍّ غَرِيبِ

صَدَقْتُمْ فَالْبَيَاضُ لِبَاسُ حُزْنٍ وَلاَ حُزْنَ أَشَدُّ مِنَ المَشِيبِ

3: قصيدة "ليل الصب" ومعارضتها[2]: اشتهر الشاعر بها فقد سار ذكره في الخافقين، وشغل الناس برائعته هذه، فقلدها الشعراء، وزينوا بمعانيها قصائدهم، وأعجزهم سحرها عن مجاراتها، فلم يدركوا شأوها، ولا وصلوا إلى نغمها المرقص.

4: ديوان المعشرات: وتسميته مأخوذة من عدد عشرة، أطلقها الشعراء على قصائد نظموها على حروف المعجم كل قصيدة بها عشرة أبيات، مبتدأ ومقفاة بحرف من حروف الهجاء التسعة والعشرين بإدخال لام الألف[3] في العدد، وهي قصائد متحدة الموضوع، وموضوعها النسيب أو الزهد وغيرهما.

ويعد الحصري حسب المصادر المتضمنة لمعشرات غيره من الشعراء رائد هذا النوع، ويبقى هذا الحكم يحتاج إلى تأكيد تاريخي جازم، وما يجعل البحث يعتقد أنه مبدع هذا النوع هو كثرة الالتزامات في نظمه؛ وهو سيعيد تقييد أبياته بعدد خاص والتزام حروف الهجاء في ذيل ديوان اقتراح القريح، فدأبه في شعره سلوك هذه الطرق المقيدة، وربما يكون ذلك لإظهار التفوق والبراعة: (الطويل)/(د:ص212)

---

[1] – للاطلاع أكثر على الشعراء الذين رثوا القيروان ينظر سعد بوفلاقة : في سيمياء الشعر العربي القديم، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط1، 2003، ص147 وما بعدها.

[2] – جمعت أشهر معارضات القصيدة، وللتوسع أكثر في معارضات القصيدة ينظر : الجيلاني بن الحاج ومحمد المرزوقي: يا ليل الصب ومعارضاتها، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1986.

[3] – مرتبة حسب الطريقة المغربية: أ،ب،ت،ث،ج،ح،خ،د،ذ،ر،ز،ط،ظ،ك،ل،م،ن،ص،ض،ع،غ،ف،ق،س،ش،هـ،و،لا،ي.

أَمَالَكَ يَا دَاءَ المُحِبِّ دَوَاءُ بَلَى عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ مِنْكَ شِفَاءُ

أَسِيرُ العِدَا بِالمَالِ يَفْدِيهِ أَهْلُهُ وَمَا لأَسِيرِ الْغَانِيَاتِ فِدَاءُ

ورغم القيود الثقيلة الدالة على معرفة اللغة و أسرار البلاغة، وقدرة على التصرف فيها، فإن معانيها تردد أصداء أشعار العذريين، وتستقي من معينهم الذي لا ينضب، وتوطد علاقة الرجل بنصفه الآخر، وتظهر ذلك الصراع المحبب إلى شعراء الغزل بما فيه من مرارة وألم.

6- ديوان"اقتراح القريح واجتراح الجريح": مجموعة من المراثي، رثى بها الحصري **ابنه عبد الغني**، مرتبة على حروف المعجم تجاوزت ألفين ومائتي بيت، هي من أقوى أسباب شهرة الحصري، توزعت بين قصائد ومقطعات، ورغم طولها فإن ذلك جعل الحصري رائد هذا الاتجاه دون منازع، إذ يتعذر على الباحث أن يجد شاعرا مشرقيا كان أو مغربيا، أكثر في رثاء ابنه كثرة بلغت ذلك الكم من المراثي، وقد أصدر فيها شوقي ضيف حكما يبدو قاسيا ومجحفا، وهو يمر على صاحبها، حين قال:" ومع طول الديوان تقل فيه الأبيات الملتاعة إذ شغل صاحبه بالصور البيانية والحيل البلاغية مما كان يعد آية البراعة في عصره"[1]، وقسوة هذا الحكم قد تبرر بكون صاحبه لم يتوقف طويلا عند القصائد التي تتضح بحرقة ناظمها، وشدة حزنه على فلذة كبده، حتى تكاد تشم منها رائحة قتار كبده، وتلمس فيها لوعة وحرارة عاطفته، وحملت موسيقاها صوت النادبات يرددن كلماتها المسجوعة، ويتبع هذا الديوان بذيل يلتزم فيه أن يكون أول البيت كآخره على حروف المعجم في كل قافية خمسة عشر بيتا، ويلاحظ أن قافية **حرف الألف** فيه أربعة عشر بيتا فقط، وذلك لالتزام الناظم في كل قافية أن يكون أول البيت مبدوءا بحرف القافية قبله، ليجعل القافية الأخيرة(**اليـاء**) مشتملة على ستة عشر بيتا، يقول في أوله: (مخلع البسيط)/(د:ص457)

أَتْعَبَنِي بَعْدَكَ الْبَقَاءُ وَفِي وَفَاتِي لَكَ الْوَفَاءُ

أَجَلُّ خَطْبٍ فِرَاقُ حِبٍّ كَانَ لِسُقْمِي هُوَ الشِّفَاءُ

[1] – شوقي ضيف: الرثاء، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1979، ص24.

ويبدأ قافية الباء: (مخلع البسيط)/(د:ص458)

اَلْوَيْلُ لِي يَا حَبِيبِيَ إِنْ غَالَتْ غَدًا دُونَكَ الذُّنُوبُ

بَيْنَ ضُلُوعِي عَلَيْكَ نَارٌ يَكَادُ مِنْهَا الصَّفَا يَذُوبُ

ويرجح صاحب مقال(رثاء الأبناء في الشعر المغربي القديم) وهو يدرس الشاعر نموذجا لذلك أن هذه الكثرة في رثاء[عبد الغني] التي خصه بها الأب دون إخوته الثلاثة الآخرين تعود حسب رأيه"إلى كونهم كانوا يموتون حين ولادتهم أو في المهد صبايا؛ فالشاعر لم يرهم يترعرعون أمامه مثل تعوده على عبد الغني"[1]، وغاب عنه أن الشاعر أشار إلى أحدهم وهو أكبر من عبد الغني بعد أن خاطب الزمان عارضا عليه أن يبيعه الموت الذي ورثه الثكل:(المقتضب)/(د:ص318-319)

يَا زَمَانُ لاَ جَلَدَ بِعْ شَعُوبَا اشْتَرِهَا

قَدْ فَتَكْتَ وَيْحَكَ فِي صِبْيَتِي وَمُذْكِرِهَا

[...] ذُقْتُهَا ثَلاَثَ دَوَا هٍ عَلَى تَمَرُّرِهَا

مُتُّ بَيْنَ شَافِعِهَا حَسْرَةً وَمُوتِرِهَا

إِثْرَ أَرْبَعٍ وَكَذَا الصِّــيدُ طُولَ أَدْهُرِهَا

[...] أَكْبَرُ الْبَنِينَ أَرَا هُ الْفِدَا لأَصْغَرِهَا

يَا أَبَا الْبَنِينَ دَعِ الثُّــكْلَ فِي كُبَيِّرِهَا

قَدْ شُفِيتَ مِنْهُ وَلَمْ تُشْفَ مِنْ صُغَيَّرِهَا

وهو ما يدل على أن الشاعر قد شهد موت أكبر أبنائه، وهذا ما ينفي ذلك الترجيح مما يجعل البحث يميل إلى فرضية علاقة الشاعر **بأم عبد الغني**؛ فبكاؤه الطويل لهذا الولد هو بكاء الغريب المغدور في حبيبة كانت شمسه وفريدته: (الطويل)/(د:ص379)

وَلَمَّا دَهَانِي الدَّهْرُ وَابْنِي وَأُمَّهُ بِحَرْبَيْنِ بِكْرًا مَرَّةً وَعَوَانِ

صَدَدْتُ عَنِ الْبِيضِ الرَّعَابِيبِ سُلْوَةً وَأَقْسَمْتُ جَهْدًا لاَ مَلَكْنَ عِنَانِي

[1] – الجيلاني سلطاني: رثاء الأبناء في الشعر المغربي القديم، مجلة الفضاء المغاربي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، عدد2، 2004 ، ص38 . أطلق عليه صاحب المقال اسم عبد الرحمن وهو يقصد عبد الغني.

فَمِنْ أَيْنَ لِي نَجْلٌ أَقُولُ إِذَا زَكَا تَشَابَهَ فِي مَعْنَاهُمَا الأَخَوَانِ

وَأَنْتَ الَّذِي تُزْهَى عَلَى الشُّهْبِ قَائِلاً ذُكَاءُ وبَدْرُ التَّمِ لِي أَبَوَانِ

وَلَوْ مُتَّ قَبْلَ الْبَيْنِ يَا وَاحِدَ الْعُلاَ رَجَوْتُ لِفِهْرٍ أَنْ تَرَى لَكَ ثَانِي

وتكون بذلك فاجعة الابن هي فاجعة الزوجة قبله؛ ولا يخرج الشاعر في مراثيه عن ندب الابن وتصوير عمق المصيبة، وربطها بمشاعر الغربة والوحشة؛ ليبقى له البكاء والاستبكاء، ويكثر من ذكر الدهر، يجرمه مرة، ويبرئه أخرى؛ ويصارعه عقله المتدين وهو الحافظ لكتاب الله العارف بدينه، وتصرعه عاطفة الأبوة الجامحة فيحقر الدنيا، ويتعزى بفناء الأمم، ويوظف القصص القرآني يروم العبرة والتعزية، ولا يفوت بعد استعراض شعر أبي الحسن الحصري ذكر ما ضاع من هذا المنجز: -رائية: منظومة في قراءة نافع، و- مستحسن الأشعار: ذكرها صاحب المعجب، وهي مجموع قصائد كان نظمها في مدح المعتمد ابن عباد صاحب أشبيلية جمعها في سفر واحد رفعه إليه حين نزل طنجة سنة 484 هـ في طريقه إلى منفاه (أغمات) من أرض مراكش، بعدما سلب المرابطون ملكه، وذكر كيف أن الحصري لم يراع حال الأسير، وقدم له المجموع راجيا عليه الثواب؛ فيمنحه هذا الملك المخلوع ما كان معه من مال، ويكتب إليه قطعة شعرية يعتذر فيها من قلة المبذول ؛ فيقبل الحصري الجائزة، ويمتنع عن رد جواب القطعة الشعرية، ويذكر صاحب المعجب أنه لم يجبه عن القطعة يقول:"كان الرجل -الأعمى -أسرع الناس في الشعر خاطرا " [1] ؛ ولا يشك في أن الحصري قد بادله الشعر، ولكن المؤرخين لم يحتفظوا بذلك، وهو الذي امتنع عن مدح المرابطين؛ ويمكن التعرف على خارطة ديوان الحصري من خلال الجدول رقم1 .

والمتأمل في سيرة الحصري من خلال شعره يتبين له: إن الشاعر اجتمعت عليه خطوب الغربة، وفراق الأهل وافتقاد الصديق والأنيس، وفقد الابن الذي كان أمل الشاعر في الحياة، وخيانة الزوجة، لتشكل هذه البواعث وغيرها حسه المأساوي الذي سيتجلى في

[1] - المراكشي : المعجب، ص106-107.

موضوعات ستعرض في الفصل الأول فرضت نفسها ظواهر ميزت شعره: أولاها **افتقاره العشقي**، وثانيها **حس الموت**، وآخرها **الاغتراب**.

جدول رقم1 الأشعار وعدد الأبيات موزعة على الأغراض :

الأغراض الشعرية	القصيدة				مادون القصيدة			عدد الأشعار	عدد الأبيات
	100<	61-99	31-60	7-30	4-6	2-3	1		
الرثاء	1 119	7 524	27 1202	36 527	21 94	118 242	-	210 % 68.18	2708 % 77.65
الزّهد	-	-	-	1 14	4 21	7 15	-	12 %03.89	50 % 01.43
الشكوى	-	-	-	1 21	1 6	6 13	-	8 % 02.59	40 % 01.14

العتاب	-	-	-	-	-	-	2 4	-	4 % 00.11	2 % 00.64	-
الغزل	-	1 87	-	31 308	-	2 8	12 27	-	430 % 12.33	46 % 14.93	-
المدح	-	1 99	-	7 99	-	3 16	6 21	-	226 % 06.48	17 % 05.51	-
الهجاء	-	-	-	-	-	-	13 29	-	29 % 00.83	13 % 04.22	-
جملة الأشعار	1	9	27	76	27	31	164	-	-	308	-
جملة الأبيات	119	710	1202	969	145	342	-	-	3487	-	-